المحور الثّالث

قدوتي الخير

الحـــي

قائمة المواضيع

التدريب الأوّل

قضّيتَ عطلة الربيع مع جدّك في حيّ عتيق بالمدينة القديمة،مُختلف عن الحيّ العصريّ الذي تقطنه.

ارو كيف عشت هذا الحدث

التدريب الثّاني

بعدَ غياب طويلٍ عُدتَ إلى حيّكَ بالمدينة العتيقة ،فوقفتَ فيه على تحوّلات هامّة .

ارو ذلك مبديا ما خلّف في نفسك من مشاعر.

الموضوع الثّالث

التأم في حيّك الشّعبي حفل بمناسبة سعيدة ،وقد تعاون الجميع على إنجاحه.

ارو الحدث مبرزا فضل مبدإ التّعاون بين الجيران .

التدريب الرّابع

زارك صديقٌ يقطُن حيًا عصريًا ،فطفتَ به في حيّكَ بالمدينةِ العتيقة ..

ارو جولتك رفقته وصف ما رأيتَ.

قدوتي الخير

تدريب الأوّل

نصّ الموضوع

قضّيت بعض أيّام العطلة مع جدّك في حيّ عتيق بالمدينة القديمة،مختلف عن الحيّ العصريّ الذي تقطنه.

ارو كيف عشت هذا الحدث

التخطيط

قدوتي الخير

وضع البداية

ـ زيارة الجدّ القاطن بالمدينة العتيقة

سياق التّحوّل

ـ اكتشاف عالم جديد مُختلف عن الحيّ العصري الذي يقطنه الرّاوي

ـ خصائص المعمار

ـ انعكاس ذلك على العلاقة بين السّكان .

ـ مثال: حضور الرّاوي حفل زفاف،وتقاسم المتساكنين المهمّات والأدوار

ـ علاقة أطفال الحيّ بعضهم ببعض (مختلف الألعاب التي يتعاطونها: الغمّيضة،لعبة الكجّات،كرة القدم في البطحاء...)

ـ الوجه الآخر للحيّ (الفوضى والخصومات)

وضع الختام

الإعجاب بمعمار الحيّ وأخلاق سكانه .

المقدّمة

لعلّ أروع مَا في الحياةِ تنوّعُ مظاهرها واختلاف وجوهها وتعدّد سير أهلها باختلاف الأزمنة والأمكنة حتّى لا تكاد تجزم بفضل بعضها على بعض.

أدركتُ هذه الحقيقة يوم تحوّلتُ من حيّنا العصريّ ذي العمارات الشّاهقة لقضاء بعض أيّام العطلة في بيت جدّي بالحيّ العتيق.فما هي خصائص هذا العالم العتيق ؟ وما الذي يميّزه عن حيّنا العصري؟

الجوهر

تَصعب المقارنةُ بين الحيين،فبقدر ما كانت شوارعنا واسعة،وبناياتنا شاهقة،كانت البيوت في الحيّ العتيق متلاصقة والطّرقات ضيّقة ومتعرّجة،والطّريف في مثل هذه الأحياء أنّ كلّ الحاجيات قريبة، فكنتَ تجد ساحة فيها جامع تتفرّع عنه أزقة فيها كلّ ما يحتاجه المرء من بقّال أو جزّار أو حمّام أو حلاّق أو مقهى،فلا يحتاج أهل الحيّ إلى شيء خارج حيّهم .

وقد انعكس هذا المعمار على طبيعة العلاقة بين أفراد الحيّ فتلاصُق بيوتهم وقرب بعضها من بعض جعلهم كالعائلة الواحدة وقوّى بينهم أواصر المحبّة والتّآزر ،يهبّون لنجدة بعضهم بعضا في السّراء والضّراء،فالحيّ عائلة واحدة ممتدّة الأطراف،يشعر الفرد فيها بالاطمئنان ،كيف لا وهو يعلمُ أنّ في له في أهلها سندا في الأتراح والأفراح .

لقد حضرتُ بالصّدفة حفل زفاف في الحيّ،ورأيتُ تقاسم المتساكنين المهمّات،فتعهّد هذا بضرب الخيام في السّاحة وزيّنها بالقوانيس الملوّنة،والأشرطة المزركشة، وفتح ذاك بيته لجمع المساعدات التي تهاطلت من كلّ صوب وحدب،من مياه معدنيّة ومشروبات غازيّة وخضر وغلال متنوّعة،أمّا النّسوة فقد عمدن إلى كنس الحيّ بأكمله،والتّخلّص من فضلاته بجمع الأوساخ في أكياس بلاستيكيّة ضخمة أخذها أحد سكّان الحيّ على شاحنته الصّغيرة بعيدا،وفي نفس الوقت تكفّل بجلب الكراسي والطّاولات ونصبها تحت الخيمة،فاستغربتُ للأمر وتعجبتُ ممّا أرى وأسمع،لأنّ الأمر في حيّنا مختلف،فنحنُ لا نكادُ نعرف بعضنا بعضا،ولا نقترض من بعضنا بعضا ولو كنّا في حاجة ماسّة لذلك،يمنعنا الخجل وربّما

قدوتي الخير

الكرامةُ الزّائفة،نحن جيرانٌ غرباءُ عن بعضنا بعضا،مجرّ أرقام، فأبواب الشّقق لا تكادُ تراها مفتوحة والسّكان قلّما تبادلوا الحديث. وإذا ما احتفل أحدهم بزواج يكون في نزل أو قاعة مخصّصة لذلك بعيدا عن الحيّ وإذا حدث ختانٌ ففي المشفى أو المصحّة الخاصّة،وأحيانا يحدث كلّ هذا دون أن نتفطّن له .

ولمّا أبديتُ إعجابي وتعجّبي ممّا أسمع وأرى أعلمني بعض المتساكنين أنّ هذه الحركة وهذا النّشاط يتضاعفان في بعض المناسبات الدّينيّة خاصّة في شهر رمضان إذ يتحوّل الحيّ في اللّيل إلى مهرجان ،فهنا حلقة توسّطها مهرّج ارتدى ثوبا غريبا وأتى من الأقوال والأفعال ما يضحك الحاضرين وانتصبت هناك أرجوحات بسيطة لكنّها بخسة الثّمن تحلّق الأطفال حولها منتظرين أدوارهم،وفي الرّكن الآخر منصّة عليها فرقة للإنشاد الدينيّ أو مسرحيّة للأطفال،إلى غير ذلك من الأنشطة المتنوّعة.

وكم استغربتُ حين وجدتُ أطفال الحيّ يجتمعون كلّ مساء في البطحاء،يمارسون ألعابا مختلفة،غريبة في بساطتها ،منها لعبة الخذروف ولعبة الكجّات والغمّيضة،وقد يتّخذ البعض قطعة من الخشب يثبّت في أسفلها أربع عجلات فتتحوّل عربة أو سيّارة صغيرة أو ما شئت من وسائل التّنقّل،وقد يتّخذون في الأرض حفرة صغيرة يصوّبون تجاهها قطعا نقديّة،ومن يوفّق في إيداعها الحفرة يكون الرّابح، ولعلّ أكثر اللّعب انتشارا في مثل هذا الحيّ لعبة كرة القدم،إذ يجتمع الأطفال كلّ يوم في السّاحة فيشكلون فريقين لكلّ زيّه يخوضون مباراة تستغرق السّاعة أو بعض السّاعة ،وكنتَ ترى المتفرّجين،على اختلاف سنّهم أطفالا وشبابا وكهولا،يشجّعون هذا الفريق أو ذاك ويصيحون إثر كلّ لقطة طريفة أو هدف، أمّا الفتيات فلهنّ ألعابهنّ الخاصّة بهنّ منها لعبة المربّعات ترسمُ على الأرض بالطّبشور أو نحوه ،يقفزن عليها في حركات رشيقة،أو لعبة شدّ الحبل إلى غير ذلك ،بينما كانت أغلب الألعاب في حيّنا داخل البيوت،بل في غرفة مغلقة ننفرد فيها بالكمبيوتر أو الهاتف الجوّال أو غيرهما من الوسائل التي تتيح لنا الألعاب الإلكترونيّة،وقد تستغرق ساعات،ممّا يعمّق القطيعة مع الآخر ويقوّي في الفرد حبّ العزلة والوحدة ،أين هذه الألعاب الإلكترونيّة الباردة من ألعاب الحيّ العتيق التي تفقد نشاطا وحيويّة وحياة ؟ وما أبعد الشّقة بين علاقة الأطفال فيما بينهم في حيّنا والحيّ الشّعبيّ !

قدوتي الخير

الحيّ العتيق رغم ضيقه وبعض مشاكله التي تندلع من حين لآخر،يظلّ إطارا مناسبا لالتفاف متساكنيه وتضامنهم ما جعل منهم عائلة واحدة ،يفرحون لفرح أحدهم ويحزنون لحزنه. ولا يعني هذا أنّ الحيّ آمن كلّ الأمان يوفّر الظّروف المثاليّة للعيش ،فقد تسيل بعض الأوساخ الملقاة هنا وهناك ،وبعض الأتربة المكدّسة أمام المنازل،وقد تندلع من حين لآخر خصومات بين الأطفال أثناء اللّعب، وقد تشمل الكبار أحيانا،ويكون ذلك لأتفه الأسباب إمّا نجدة لأحد الأبناء أو غيرة على جار قريب أو لإلقاء أحدهم الفضلات أمام بيت جاره،وقد دفعني الفضول يوما للتّجول في أطراف الحيّ ففوجئتُ بازدحام لا مثيل له كأنّه يوم الحشر،لا يمرّ به المرء إلاّ بعد عناء ومشقّة،وقد انتشر الباعة على الطّوار يفرشون الأرض ببضاعة متنوّعة من أحذية ومعاطف وفساتين ولعب،وبضائع التي يعسر حصرها إن لم نذكرها،يعرضونها على المارّة ويصدّعون آذانهم بأصوات عالية،مزعجة، وقد تنشب من حين لآخر خصومات بينهم من أجل الانتصاب فيستنجد كلا الطّرفين برفاقه وأصدقائه فتتطوّر إلى معركة جماعيّة تستعمل فيها كلّ الأسلحة ولا يعود الهدوء إلاّ بعد تدخّل الشّرطة .

وتتدسّس بين الباعة طائفة من النّشّالين يخاتلون المارّة حتّى إذا ما صادفوا شيخا أو عجوزا أو أيّ شخص تبدو عليه علامات الغفلة نشلوه أو اختطفوا ما بيده في سرعة البرق ثمّ يلوذون بالفرار إلى الأزقّة المجاورة فلا تعثر لهم على أثر .

صحيح ،حيّنا راق ونظيف،طرقاته مستقيمة ومبلّطة وسيّاراته فخمة،وأغلب سكّانه من الميسورين لكنّه يفتقر إلى الحرارة ،كأنّه تمثال قدّ على أحسن شكل ونُحت على أجمل صورة يكاد ينطق لكن بلا حرارة ولا روح .اعتلجت كلّ هذه المعاني في نفسي وأنا في حيّ جدّتي العتيق، لكنّني عندما عدت إلى حيّنا أعجبني هدوؤه ونظافته،وعدلت من موقفي تجاهه،واقتنعت أنّ لكلّ حيّ خصائصه،وأنّ الحيّ ليس مجرّد بناءات متلاصقة بسيطة أو فخمة بل هو مجموعة من المتساكنين تشدّهم مجموعة متشابكة من علاقات تقوى وتشتدّ أو تضعف وتتراجع حسب طبيعة الأفراد.

الخاتمة

سواء كان الحيّ عتيقا أو حديثا فإنّه يظلّ مدرسة تعلّم النّاس التّعايش وحسن الجوار والتآزر

قدوتي الخير

التدريب الثّاني

نصّ الموضوع

بعد غياب طويل عدتَ إلى حيّكَ بالمدينة العتيقة ،فوقفتَ فيه على تحوّلات هامّة .

ارو ذلك مبديا ما خلّف في نفسك من مشاعر .

التّخطيط

وضع البداية

قدوتي الخير

ـ العود إلى الحيّ بعد غياب طويل

سياق التّحوّل

ـ ما طرأ على الحيّ من تغيير :

- مدّ طرق واسعة

- اختفاء معالم قديمة (حمّام الحيّ ،الزّقاق والقبو....)

- ظهور منشآت جديدة " مرآب،مغازة عصريّة،مقهى عصريّ ....)

- تذكّر بعض الوجوه القديمة (عم عزّوز ، عم حمزة الحلاق ....)

- ملاقاة . صدفة حمزة ابن الإسكافيّ، الخالة محرزيّة.....

- الوصول إلى البيت

وضع الختام

توزّع عواطف الرّاوي بين : ـ دواعي التّشبّث بالأصالة والهويّة

- دواعي الانفتاح مواكبة العصر

المقدّمة

عُدتُ إلى أهلي بعد غيبة طويلة قضيتُها في الخارج للدّراسة،وقد تردّد في خلدي هذا البيت الذي حفظته يوما ما في المدرسة:

بلادي وإن جارت عليّ عزيزةٌ وأهلي وإن ضنّوا عليّ كرامُ

ولمّا اقتربتُ من سور الحيّ ثارت في نفسي مشاعر متنوّعة متضاربة،وتراقصت أمام عينيّ أسئلة عديدة : هل حافظ الحيّ على طابعه بعد كلّ هذه السّنوات؟ ومن بقي من الجيران الذين سعدتُ بهم في حياتي؟ وما مصير بعض رفاق الدّراسة ؟

الجوهر

أوّل ما فاجأني أنهج جديدة واسعة ممتدّة اعترضتني قبل الوصول إلى أحد أبواب المدينة المعروفة ثمّ تراءى لي السّور العتيقُ منتصبا شامخا،وقد تهلّلت أقواسه الثّلاثة شاهقة شاهدة على صموده وقدرته على مقاومة الزّمن .اعتدنا أن تتوقّف بنا السيّارةُ عند سور الباب الكبير دون الولوج إلى داخل الحيّ فالطّرق متعرّجة ضيّقة لا تتّسع لمرور السيّارات إلاّ اضطرارا،وبعسر شديد،لكنّي فوجئتُ وراء الباب الكبير ببطحاء فسيحة لا عهد لي بها،أشرت إلى السّائق أن يتوقّف ففعل،ونزلتُ أستطلعُ الأمر، تفحّصتُ المكانَ أبحث عن بعض العلامات القديمة،فإذا بالحمّام القديم قد اختفى وحلّت محلّه بطحاءُ صغيرة، عبرتُها في اتّجاه بيتنا ،ولبلوغه اعتدتُ أن أمرّ بقبو في أحد جوانبه درجٌ ضيّقٌ يُفضي إلى بابِ الحيّ الذي يُطلّ بدوره على بطحاء ،هي ساحة الحيّ،لكنّي لم أعثر على الزّقاق ولا على القبو ولا كتّاب الحيّ،فقد انتصبتْ محلّها مغازةٌ كبيرة بواجهة بلّوريّة تلألأت أضواؤها وانفتحت أبوابها تستقطبُ خلْقا كثيرا،وقد علمتُ في ما بعد أنّ صاحبها يستعدّ لتحويل فضاء الحمّام مرآبا للسيّارات زائريه .

تجاوزتُ البطحاءَ فانعرج بي الطّريقُ شمالا فإذا بي أمام مقهى عصريٍّ يبلغه روّاده بارتقاء درج فسيح كُسيَ رخاما لمّاعا،قادني فضولي إلى الدّاخل فإذا هي قاعةُ شايٍ فسيحة نُضدت

توني الجزيرة

مولدها وحفلت بصنوف الأرائك الوثيرة،وقد كشف جانبها البلّوريّ على ساحة الحي القديم،فعادت بي الذّاكرة إلى الماضي لمّا كنتُ أعرف كلّ أزقّة الحل ودورها ودكاكينها بل أعرف كلّ شبر فيها.

بينما كنت موزّعا بين حاضر غريب وماض بعيد ،طالعني وجه لم أنكر ملامحه،لكنّي لم أذكر صاحبه،تفحّصته مليًا فلم يشِ بشيء،ابتسم وقال:" سأكفيك عناء التّذكّر ،أوّلا أنت "محمد المهدي"

ابن الحاج "عنبة "،وأنا " حمزة " ابن "العمّ الهادي" الإسكافيّ صاحب الدّكان العتيق ،منّ اللّه عليّ بعد وفاة والدي فاقتنيتُ مجموعة الدّكاكين المجاورة،وأقمتُ بدلا عنها هذا المقهى لأنّي أدركتُ أنّ عهد ترقيع الأحذية وإصلاحها قد ولّى .

ترحّمتُ على المتوفّى،وواصلتُ طريقي إلى بيتنا ،وصلتُ آخر الأمر إلى الزّقاق المؤدّي إلى السّاحة القديمة حيثُ دكّان العمّ " عزّوز" وهو رجل عصبيّ المزاج غليظ القلب،كان في عهدته مجموعة من الدرّاجات كنّا نكتريها بمعلوم لقضاء حاجة أو للطّواف في أزقّة الحيّ،وغالبا ما ينتهي الأمر بخصومة لأنّنا كثيرا ما نتجاوز الزّمن المحدّد لذلك،وهناك على بعد بعض الأمتار دكّان "عم رضا "حلاّق الحيّ ،كان يعرف الجميع و يعرفه الجميعُ ،وهو رجل أنيق حسن الهندام رشيق القوام خفيف اليد حديد الموسى،لكنّه كان شديد الفضول تصله أخبار الجميع فلا تخفى عليه خافيةٌ،يتحلّق عنده كبار الحيّ من المسنّين وهناك يخوضون في شتّى المواضيع فتُتناقل أخبار أهل الفنّ والسياسة ومن هناك تنطلق اغلب الإشاعات لكنّ هذا المشهد اختفى اليوم فقد ضُمّت هذه الدّكاكين إلى بعضها بعضا واستحالت حضانة للأطفال علتها يافطة كبيرة كُتب عليها باللّغتين العربيّة والفرنسيّة اسم المؤسّسة وأرقام هواتفها ؟

عبرتُ السّاحة وأنا أتفرّسُ في وجوه المارّة فلم أهتد إلى أحد من معارفي القدامى،أبطأتُ الخطى وجالتْ بناظري في بناءات السّاحة وفي مختلف أرجائها ،فلي في كلّ ركن منها ذكرى،هنا نشأتُ وتحت سمائها ترعرعتُ وعلى أرضها لعبتُ وقفزتُ ووقعتُ،وفيها فرحتُ وتألّمتُ ،على ما تبقّى من هذا الطّوار الأحدب دفعني يوما أحد الأتراب فشجّ حاجبي الأيمن،تحسّستُ بأناملي موضع الجرح القديم ،مبتسما،ورفعتُ رأسي إلى المنعطف الغربيّ

الخبير

حيثُ الفانوسُ الكهربائيّ الذي اتّخذته أجيال من شباب الحيّ لمواعيدهم ولقاءاتهم وسهراتهم لا يثنيهم عن ذلك برد قارس ولا زمهرير شديد،وتعثّرت في أرضيّة البلاط المحدودب كما عهدته قديما وكدت أنكفئ على وجهي فابتسمتُ ابتسامة رقيقة حنينا إلى ذلك الزّمن الجميل

.

خاب أملي في العثور على أحد معارفي،فكلّ شيء تغيّر حتّى ملامح المارين،وبينما كنت أهمّ بالدّخول إلى الزّقاق حيث بيتنا لاح لي شبح امرأة مسنّة وقد تحجّبت بالسّفساري وهو غطاء من الحرير الأبيض يستر كلّ جسدها،تسير الهوينى في اتّزان ووقار،تفرّستُ في ملامحها فإذا هي الخالةُ " محرزيّة" جارتنا القديمة،سلّمتُ عليها بكلّ لطف ولباقة فتردّدتْ أوّل الأمر ثمّ لمّا عرّفتها بنفسي انفرجت أسارير وجهها ولمعت عيناها ببريق الفرح، لا شكّ أنّني أعدتها هي الأخرى إلى زمن تحنّ إليه وعهد جميل عاشت فيه.

وصلتُ أخيرا إلى بيتنا فإذا هو قائم شامخ لم يتغيّر فيه شيء ،مازالت واجهته المميّزة المصنوعة من حجر "الكدّال"،ومازال بابه مرصّعا بمسامير سوداء بارزة تتدلّى في صدره حلقتان حديديّتان كالخرصين نتّخذهما للطّرق فتنفتحُ الأبواب .

ما أن طرقتُ الطّرقة الأولى حتّى أطلّت رؤوس من روشن البيت المقابل تستطلع الخبر ،فتيقّنت أنّ

جارتنا "خالتي ليليا" مازالت على قيد الحياة بالرّغم من تقدّم سنّها .وما هي إلاّ لحظات حتّى فُتح البابُ وعمّت الفرحة البيت وتقاطر المهنّؤون بالعودة بعد طول الغياب

الخاتمة

بينما كانت أمّي منهمكة في إعداد القهوة والحلويّات جلست على الأريكة في انتظار عودة الأب من الصّلاة طافت في ذهني أفكار عديدةٌ وجاشت بصدري عواطف متناقضة بين قلق من اختفاء بعض ملامح الحيّ العتيق ورموزه والرّضا عن تجديده مواكبة مقتضيات الحياة العصريّة .

الموضوع الثّالث

نصّ الموضوع

التأم في حيّك الشّعبي حفل بمناسبة سعيدة ،وقد تعاون الجميع على إنجاحه.

ارو الحدث ميرزا فضل مبدإ التّعاون بين الجيران .

التّخطيط

وضع البداية

- علاقة الوئام والتّعاون بين سكّان الحيّ العتيق

الأحداث

عديدة ومتنوّعة تؤكّد التّعاون بين أفراد الحيّ .

+ حفل زفاف إحدى المعوزات:

- مساهمة النّساء

- مساهمة الرّجال

وضع الختام

دور مثل هذه المناسبات في تقوية وشائج المحبّة بين السكّان

المقدّمة

(وتعاونوا على البرّ والتّقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) على مثل هذه الآية وغيرها من آيات القرآن الكريم التي حفظناها في كُتّاب حارتنا القديمة نشأنا وبهديها استقامت حياتنا مع جيراننا ،وتواصلت صافية لا تشوبها شائبة،هم " جيران السّاس " كما يُقال وهي عبارة كنّا وما زلنا نردّدها بتلقائيّة مثقلة بالمسؤولة الأخلاقيّة تجاه بعضنا البعض .هذا ما وقفت عليه أثناء التآم حفل في حيّنا الشّعبي لإحدى المعوزات ،فهبّ كلّ أفراد الحيّ لمدّ يد المساعدة وتعاون الجميع على إنجاحه.فكيف حدث هذا؟ وما كان دور كلّ فرد من أفراد الحيّ؟

الجوهر

في حارتنا العتيقة الجار سند متين ونبع من العطاء لا ينضب بالرّغم من قلّة ذات اليد.نتقاسم الحلو والمرّ ،دون حسابات وبلا تبجّح أو رياء.والشّواهد على ذلك كثيرة منها زواجُ إحدى الفتيات المعوزات . سرى يوما خبرُ خطبة إحدى بنات الحيّ وقد تقدّم بها السّن في حين تزوّج الكثير ممّن يصغرنها لجمالها المتوسّط ثمّ خاصّة لفقر عائلتها وعجزها عن تجهيزها .

تواردت الجاراتُ يهنّئن ويستطلعنَ الخبرَ ويعرضنَ خدماتهنّ .فعلمنَ أنّ موعد الزّفاف قريبٌ لأنّ الزّوج عامل يوميّ في القطر اللّيبي ويجب عليه اللّحاق بعمله في أقرب وقت ممكن، ولمّا يكتمل جهاز الفتاة وليس أهلها من الميسورين القادرين الذين يقُولون للشّيء كن فيكون .

.انتشرت في بيوت الحارة كلمة سرّ "بم سنساهم في زيجة الفتاة ؟ " لاحظتُ زمنئذ حركةً محمومة بين الجيران،زياراتٌ قصيرة ومشاوراتٌ خفيّة وكلماتٌ مشفّرةٌ ،علمتُ بعدها أنّهم يتقاسمونَ الأدوار ، فقد تعهّد كلّ بيت باقتناء بعض ما تحتاج العروسُ يُقدّمها لها هديّة . صاحبتُ أمّي إلى سوق القماشِ وجُبنا عدّة دكاكينَ نتخيّرُ أفضلَ الستائرِ نوعا وثمنا ،وطال بحثُنا ،وكاد ينقطعُ أملُنا حتّى وقعنا في منعطف الطريق على دكّان صغير تردّدنا في دخوله ثمّ فعلنا.فاكتشفت فيه أمّي كنوزا رائعةً من الستائر المتميّزة جودة وثمنا، وبات عليها أن تختار أجملها لونا وأنسبها لميزانيتها .اجتمع الرّجال بوالد العروس لمساعدته على تهيئة البيت ،فأحضرَ الدّهانُ ونُصبت السّلالم،وأحضرت أدواتُ الدّهن،وتقاسمت السّواعد العمل بين طلي

الجدران بدهان كلسيّ ناصع البياض ودهن الأبواب والنّوافذ بطلاء أزرق،وما هي إلاّ أيام ثلاثة حتّى انتصب البيتُ سحابه ناصعة البياض تتخلّلها زرقة سماويّة تسبح في محيط ملؤه البهجة والإشراق .اتّفقت الجاراتُ على موعد تقديم الهدايا .فكانت عشيّة الخميس ،وقد خرجنَ في موكب احتفاليّ وبأيدهنّ هدايا مختلفة الأشكال والأحجام لُفّت في أوراق الزّينة المزركشة، تتقدّمهنّ امرأة تحدث إيقاعا مطربا على " دربوكة" مرفوقة بغناء الأعراس، فملأن الحيّ بهجة بغنائهنّ وزغاريدهنّ .حان موعدُ الزّفاف،وباتَ على السّواعد العاملة وضعُ الخباء " وهو غطاءٌ من القماش الغليظ الثّقيل ينصبُ في الفناء الواسع المكشوف،يتّخذ للاحتفال فيقيه ماء المطر ولفح الشّمس .وتصحبُ وضع الخباء طقوس احتفاليّةٌ خاصّة.إذ ترتفع معه الزّغاريدُ وتُنثرُ رائحة البخور العبق في فضاء الفناء المُغطّى ،ومعه تُقرعُ الطّبولُ وترتفع ترنيمات المزمار في انسياب منش.وبينما تحتفل النّساءُ والأطفالُ بهذا المشهد تنئ السّواعدُ العاملةُ تحت وطأة ثقل الخباء، يُرفع إلى السّطوح المجاورة ويُشدّ بالحبال ليستقر في مكانه ، فلا يتزحزح.

ثمّ يأتي دور الكراسي وإحضارها والمناضد ونصبها ،إضافة إلى تثبيت أشرطة الفوانيس الكهربائيّة المتلألئة والمختلفة الألوان لتضيء الحفل ،وتكثر في هذه المرحلة من الإعداد التّدخّلات والتّعليقات خاصّة من الكهول والشّيوخ وبعض النّسوة اللاتي لا تتوقّفن عن التّلميح والإشارات الخفيّة والعلنيّة فتستجيبُ السّواعد العاملةُ باشّة مرّة مقطّبة أخرى .

احتفالات الزّفاف في حارتنا أيّام ثلاثةٌ بلياليها، تنشط فيها السّهراتُ بعد حلول الظّلام وتحت توهّج أنوار الفوانيس يقضيها الشّبابُ بين دقّ الطّبول والنّفخ في المزامير والرّقص جماعات ووحدانا،في حين يتحلّق الكهول والشّيوخ في فضاء البيت في مجالس أكثر هدوءا ورصانة.

وتخصّص اللّيلة الثّانية لحفل العشاء وفيها تُعدّ أصناف المأكولات الشّهيّة،وتُنضد الموائد يُدعى إليها الأهل والأصدقاء والجيران، وتختم الليلة بظاهرة طريفة هي أن يساهم من حضر حفل العشاء بما تيسّر من المال يُوضع في سلّة مزيّنة خُصصت لذلك الغرض مع الإعلان عن مقدار كل متطوّع بصوت جهوريّ عالٍ للإعلان والتّشجيع .

الخاتمة

رأيتُ ليلة الزّفاف البهجة تتجاوز حدود بيت العروس لتعمّ كامل الحيّ وتغمر كلّ بيت،ولا شكّ أنّ هذا التّعاون يشيع في أبناء الحيّ الشّعور بالأمان فالمرءُ في حاجة دائمة إلى جار يدعمه وصديق يسنده . .

التدريب الرابع

نصّ الموضوع

زارَكَ صديقٌ يقطُنُ حيًا عصريًا ،فطفتَ به في حيِّكَ بالمدينةِ العتيقة ..

ارو جولتك رفقته وصف ما رأيت.

التّخطيط

وضع البداية

زيارة الصّديق للمدينة العتيقة

سياق التّحوّل

قدوتي الخير

الزّمان: غير محدّد

المكان: المدينة العتيقة

الأشخاص: الرّاوي وأحد أصدقاء الطّفولة

الأحداث

التّجوال في أنهج المدينة (الجدران المطليّة ،الأبواب المنقوشة،الأرض المبلّطة،...)

التّجوّال في الأسواق (سوق العطّارين، سوق البلاغجيّة، المطاعم الصّغيرة والأكلات السّريعة ، المقاهي التّقليديّة .....)

وضع الختام

سعادة الصّديق بما رأى وعرف

المقدّمة

صاحبني زميل لي في الدّراسة شبّ ونشأ في حيّ عصريّ في ضواحي المدينة حيث الأنهج العريضة وأعمدة النور المستقيمة ،والحدائق الغنّاء والعمارات الشّاهقة التي لا يبلغ أصحابها محالّهم إلاّ عبر المدارج المدّويلة أو المصاعد الكهربائيّة،ولازمني في المعهد ملازمة الرّفيق،وألحّ عليّ أن يصحبني إلى بيتنا في الحيّ العتيق،خاصّة أنّه يكاد يجهل "المدينة العربي " كما يسمّيها ،فأجبتُ وما ترددتُ.

فكيف كانت الجولة ؟ وما الذي شدّه إلى المدينة العتيقة ؟

قدوتي الخير

الجوهر

عبرنا سور المدينة إلى الشّارع الرّئيسيّ في الحي العتيق وقد بلّطت أرضيّته بحجارة صمّاء منقوشة ضُمّت إلى بعضها بعضا،وسُدّ ما بينها حتّى استوت،ولاحت جُدران البيوت بيضاء ناصعة علتها بعض الرّواشن من الخشب المنقوش وقد أتقن حرفيّوها تزويقها بألوان زاهية ،وكنت تجد من حين لآخر من غرس ياسمينة أو غيرها من النّباتات المتسلّقة زادت خضرتُها المنظر جمالا وتألّقا،ولعلّ أهمّ ما أبهر زميلي تنوّعُ الأبواب خاصّة تلك المنقوشة بمسامير سوداء وقد تدلّت منها حلقٌ كأنّها أخراص تدلّت من آذان حسناوات.

انعطف بنا الطّريق في انحدار شديد كاد زميلي أنْ تزلّ قدمه فيه،أفضى بنا إلى بطحاء صغيرة اجتمعت فيها بعض الدّكاكين يستغلّها أصحابها في بعض الحرف التّقليديّة ،خاصّة نسج الحرير بفضل آلة خشبيّة تُعرف " بالنّول " تُرتّب أجزاؤها بطريقة مخصوصة ،تمتدّ عبر طرفيها خيوطُ الحرير وينتصب الحرفيّ في طرف منه يحرّك خيوطها في حذق ودراية. ولعلّ أهمّ ما في البطحاء معلمٌ أثريّ من طابقٍ أرضيّ زمّت جدرانه وجُدّدتْ نوافذه وبابُه،هو مرقد بعض باياات وأمراء الدّولة الحسينيّة ،كان بابه موصدا على الدّوام ولا أذكر يوما أنّه فُتح لأيّ كان .

امتدّ بنا الطّريقُ وضاق ليمرّ بنا تحت قبو قصير يكاد المارُّ يلمسه برأسه تشدّه أعمدة عليها تيجان بلوح عليها بقايا زخارف قديمة تصلها أقواسٌ متدنّية نسبيّا،دخلناه فإذا على جانبيه

دكّتان،سألني صديقي ما شأنُ القبو والدكتين ؟ فقلتُ : هو ممرّ يربط بين جزأي الحيّ يجد فيه المارّةُ ملجأ من لفح الشّمس صيفا وهطل المطر شتاء،وعلى الدّكتين يريح الشّيوخ والعجائز أجسادهم من عناء الطّريق ،ويستغلُّ فضاؤه العلويّ " كُتّابا " لتحفيظ النّاشئة القرآن .

في طريقنا الضيّق بالمدينة العتيقة البيوت متناكبة والأبوابُ المتقابلة مرشّقة بالمسامير السّوداء البارزة،يفوح عبر شقوقها عبق القهوة المسحوقة لتوّها بالمطحنة،وتتسلّل روائح الأكلات الطيّبة تُسيل اللّعابَ،وتطلّ
الجدرانُ السّميكةُ الملتفعة بحرّ الشّمس قائمةً تتحدّى صولات الزّمن .
تجاوزنا الحيّ السّكنيّ ،وما يتميّز به من هدوء إلى الأسواق حيث البيع والشّراءُ والصّنائع وأهل الحرف،ولجنا سوقَ وقد بادرتنا عطوراته تملأ الفضاء وتدعو كلّ ذي حسّ مرهف إلى استنشاق عطرها الفوّاح،الدّكاكينُ فيه صغيرةٌ لا تتّسع لأكثر من صاحبها وقد صُفّفت في خزائن من البلّور قوارير العطر مختلفة الأشكال والألوان، يعترضك البائعُ ويسمّيها " مرشّ" من الفضّة فيبادرك ببعض عطره ،ويقترح عليك صنوفا أخرى ويخيّرك بين أفضلها ويلحّ في ذلك فلا تتجاوزه إلاّ وقد قنّينة قارورة أو أكثر.
ويفضي آخر سرق العطّارين إلى سوق البلاغجيّة ،وتمرّ إليه عبر منحدر أرضه من البلاط الأسود وقد بات أملس يهدّد المارة بالانزلاق كلمّا رُشّ بالماء أو بلّل بالمطر، يستغلّ أصحاب هذه السّوق الطّوار لعرض مصنوعاتهم الجلديّة بين خفّ وحذاء ومحفظة وأحزمة من الجلد وغيرها فيضيقُ الطّريقُ على السّابلة ويزدحم فتثقلُ الخطى وتتركّز الأبصار دون رغبة على البضائع تتفحّصها،وقد يغري الازدحام بعض النّشالين بالسّطو على المارّة أو سرقة بعض البضائع المعروضة فيرتفع الصّراخ هنا وهناك ويجتمع المارّة على النّاشل فيوسعونه ضربا ويسترجعون المسروق، وغالبا ما يندسّ النّاشل بين المارّة فلا يهتدي إليه أحدٌ.
جُبنا الأسواق المحيطة بالجامع الأعظم ،فأنهكنا التّعب ونال منّا الجوع فأخذتُ صديقي إلى أحد مطاعم "الكفتاجي" و"اللّبلابي"في نهج القصبة وقد فاحت منها روائح التّوابل،فأسالت منّا اللّعابَ ودغدغت الأمعاء الخاوية،ما أن جلسنا حتّى قُدّمت لنا الصّحافُ بما لذّ وطاب،فجزّ وجزّدتُ والتهمنا ما على الخوان بكلّ نهم حتّى انتفخت منّا البطون وثقلت الرّؤوس وكادت

قدوتي الخير

تُغمض العيون ،ثمّ قلت له:" ما أحوجنا إلى كأس من الشّاي الأخضر بالنّعناع" وأخذته إلى مقهى العطّارين حيث احتسينا كأسين من ألذّ ما يمكن أن يحتسى من الشّاي.
وأخيرا اتّجهنا إلى بيتنا عبر طرق ضيّقة ملتوية هي بالنّسبة إلى الغرباء متاهة،طرقتُ الباب الخشبيّ مستعملا الحلقة المتدلّية منه ،وعبرنا " السّقيفة" وهي فضاء مستطيل مسقوف مرتفعة جدرانه خال إلاّ من دكّة يفضي إلى فناء دار مربّعة الشّكل تتفتح عليه أبواب الغرف الأربع ونوافذُها.،دعوتُ صديقي إلى غرفتي،ونادتني أمّي ملحّة أن أقوم بواجب الضّيافة،أخذت صينيّة فيها مرطّبات وعصير ،وعدتُ مسرعا،فإذا بصديقي قد استلقى على الفراش يغطّ في نوم عميق من الشّبع وشدّة التعب.

الخاتمة

وفي الغد هاتفني صديقي ليعبّر لي عن استمتاعه بهذه الزّيارة وإعجابه بما رأى واستفادته ممّا عاشه في المدينة العتيقة،مؤكّدا لي أنّ المدينة بأقبيتها المسقوفة ورواشنا المزركشة وأبوابها المنقوشة كنز من كنوز الحضارة الإنسانيّة ،يجبُ صيانته والمحافظة عليه .

قدوتي الخير